المبحث الأول

الدين وتعريفه

يعرف الدين في اللغة بأنه الديانة واسم لجميع ما يُعبد به الله، والملة، والإسلام والسيرة والعادة، والحال والشأن، والورع، والحساب، والملك، والسلطان، والحكم، والقضاء، والتدبير» [١].

والمتأمل في اشتقاق الكلمة وطرق استعمالها يجد أن هذه المعاني الكثيرة التي تعنيها كلمة الدين تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة.

بيان ذلك:

أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه «**دانه يدينه**» وتارة أخرى من فعل متعد باللام «**دان له**»، وتارة من فعل متعد بالباء «**دان به**».

وباختلاف الاشتقاق تختلف المعاني التي تعطيها الصيغة. فعلى سبيل المثال:

(١) إذا قلنا «**دانه دينًا**» عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه.

فالدين بهذا الاستعمال يدور على معنى الملك، والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة، والتدبير، والحكم، والقهر، والمحاسبة.

وقد استعمل القرآن الكريم الدين بهذه المعاني:

[أ] بمعنى الحساب والجزاء في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

(١) انظر المعجم الوسيط (١/ ٣٠٤).

[الفاتحة :٤] . وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة :٨٦-٨٧] .

[ب] بمعنى النظام والملك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف :٧٦] أي في نظام أو مُلك مَلِك مصر في هذا الوقت.

[ج] بمعنى الحكم في قوله ﷺ «الكيس من دان نفسه» أي حكمها وضبطها و«الديّان» الحكم القاضي. وبمعنى القضاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور :٢] أي في قضائه وحكمه» [(١)].

(٢) وإذا قلنا «دان له» أردنا أنه أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة الورع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر :١١] أي له الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥][(٢)] ومن أحسن طاعة.

وقد استخدم الدين في أشعار العرب بهذا المعنى في قول عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا غرٍّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

أي أن نطيعه ونتبع قوله، ونأتمر بأمره[(٣)].

(٣) وإذا قلنا «دان بالشيء» كان معناه أنه اتخذه دينًا ومذهبًا أي اعتقده أو اعتاده أو تخلَّق به، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها الإنسان ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦] أي طريقتكم التي تتبعونها في عبادتكم ومعاملاتكم، ولي ديني وطريقتي التي علمني الله إياها وأرشدني إليها وأمرني بها[(٤)].

---

(١) الكليات لأبي البقاء (٢/ ٣٢٨، ٨٢٩).

(٢) انظر: المفردات للراغب ص (١٧٧، ١٧٨).

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٦).

(٤) الدين: للدكتور عبد الله دراز ص (٢٦) ومقارنة الأديان ص (٦).

وأخيرًا يطلق الدين على الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ شاملاً العقيدة والشريعة لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] .

ويقول الدكتور دراز في تعليقه على الاستخدامات اللغوية لمادة «دين» **(ونستطيع أن نقول إن المادة كلها تدور على معني لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو بالتزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذى يلتزم الانقياد به)** [(١)].

الدين شرعًا:

يعرف الدين في لسان الشرع بأنه **«وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات»** [(٢)].

ويعرف أيضًا بأنه **«ما شرعه الله تعالى على لسان الأنبياء لتبيين الأحكام»** [(٣)].

الدين في اصطلاح علماء الأديان:

لقد اختلف الباحثون اختلافًا كبيرًا في تعريف الدين في الاصطلاح. وقد أورد الدكتور دراز عليه رحمة الله أكثر من أربعة عشر تعريفًا كل واحد من هذه التعريفات قد اكتفى بجانب واحد من جوانب الدين[(٤)].

ونستطيع أن نستخلص تعريفًا موجزًا للدين في اصطلاح علماء الأديان وهو عبارة عن **«الخضوع والتذلل لبعض الكائنات والاحتماء بها، وتقديم القرابين لإرضائها سواء أكانت هذه الكائنات محسوسة كالشمس والقمر، والصنم والوثن، أو**

---

(١) الدين ص (٢٧) بتصرف يسير.

(٢) البيجوري على جوهرة التوحيد ص (١٤).

(٣) نفسه.

(٤) انظر هذه التعريفات والتحليلات القيمة التي أوردها الدكتور دراز لهذه التعريفات، الدين ص (٢٩ - ٣٤).

غير محسوسة كالأرواح الخفية التي كانوا يتقربون إليها. أي أنه جملة من المبادئ العامة وضعها بعض الناس ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها»[١].

وواضح من هذا التعريف أنه يشمل الدين بمعناه العام فهو يشمل الديانة المصرية القديمة والفارسية والبوذية، وغيرها من الأديان الوضعية ويدخل فيها بلا شك التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى على دين موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وإذا كنا نحكم بالوضعية على كل دين فإننا يجب أن نميز بين الدين الحق، والأديان الباطلة، فالدين الحق هو الإسلام.. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] .

وما دام الأمر كذلك فلا بد أن نشير إلى دين الأنبياء، وأصحاب الرسالات الذين ورد ذكرهم في القرآن لنستعرض الآيات التي تحدثت عن أن الإسلام هو دين الأنبياء من قبل محمد ﷺ.

الإسلام دين الأنبياء جميعًا:

فهو دين سيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا يعقوب وأبنائه وعلى رأسهم سيدنا يوسف، وهو دين سيدنا موسى وسيدنا داود وسليمان، وسيدنا عيسى وعلى رأس المسلمين جميعًا سيدنا رسول الله ﷺ.

والقرآن الكريم يتتبع الأنبياء ويعلن على لسانهم أن دينهم هو الإسلام:

(١) سيدنا نوح يقول كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس :٧٢] .

(٢) سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة :١٣١] .

(١) انظر مقارنة الأديان ص (٧).

(٣) سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] .

(٤) سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف :١٠١] .

(٥) وسيدنا موسى يأمر قومه بالإسلام، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس :٨٤] .

(٦) وسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قصة ملكة سبأ، حكى القرآن الكريم أنه دعاها إلى الإسلام، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٣٠-٣١] .

ويعبر عن دينه فيقول: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٤٢] .

(٧) وملكة سبأ أعلنت أنها دخلت في دين الإسلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل :٤٤] .

(٨) سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كانت دعوته ودينه هو الإسلام: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :٥٢] .

(٩) وسيدنا رسول الله ﷺ يعلن كما أخبر بذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام :١٦٢-١٦٣] .

(١٠) بل إن الجن أنفسهم الذين بلغتهم دعوة النبي ﷺ قد أعلنوا الإسلام يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن :١٤] .

(١١) وأهل الكتاب لما سمعوا القرآن الكريم: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص :٥٣] .

(١٢) وبعد هذه الآيات كلها يبين القرآن الكريم: أن الدين المقبول عند الله والناجي أصحابه في الآخرة هو الإسلام.. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] . ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران :٨٥] .

ونحن إذ نعرض هذه الآيات لنبين أن أي إنسان يهودي أو نصراني يسمع بالإسلام ودعوته ثم لا يؤمن فهو من أصحاب النار يخلد فيها أبد الآبدين مثل الكفار والمشركين. ومعنى الإيمان هنا التصديق بمحمد ﷺ والنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما. يقول رسول الله ﷺ **«والذى نفسي بيده ما من يهودي ولا نصراني يسمع بالذى جئت به ثم لا يؤمن إلا كان من أصحاب النار»**[١].

ولا بد من الإشارة إلى بعض النصوص القرآنية التي يمكن أن تُفهم على غير حقيقتها ولنبين وجه الحق فيها حتى نزيل اللبس أمام الذين يريدون أن يميعوا دين الله وشرع الله حين يستشهدون زورًا وبطلانًا بهذه النصوص ليبرهنوا من خلالها أن اليهود من الممكن أن يكونوا من الناجين هم والنصارى وأبرز هذه النصوص قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة :٦٢] .

وأكثر ما نسمع هذه الآية والاستشهاد بها حين يكون الكلام عن السلام مع اليهود أو في معرض الحديث عن الوحدة الوطنية مع النصارى تضيع الحدود العقدية الفاصلة بين الحق والباطل وتؤول الآيات إن لم تحرف من أجل المنهزمين عقائديًا وحضاريًا.

---

(١) انظر هامش الطحاوية ص (١٧٠) والحديث أخرجه مسلم تحت رقم (١٥٣).

يقول الشهيد سيد قطب في ظلاله عن معنى الآية السابقة: والذين آمنوا يعني بهم المسلمين، والذين هادوا هم اليهود، والنصارى هم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب (قبل البعثة) الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قولهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون: إنهم صبئوا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك.

والآية تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعًا وعمل صالحًا فإن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم، وذلك طبعًا قبل البعثة المحمدية. أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير.

فالآية تتحدث عمن كانوا قبل البعثة فلا نجاة لأحد إلا بدخوله في دين محمد ﷺ وهو الإسلام.

يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء :٦٥] .

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى الآن كفار ومشركون وأديانهم أديان وضعية بقي فيها بعض الأشياء الصحيحة والذى يحكم بصحة هذه الأشياء إنما هو الإسلام وكتابه القرآن ونبيه الخاتم محمد ﷺ.

* * *